الداخل والغزو الاسرائيلي للبنان في الخارج العام ١٩٨٢، وخروج الثورة الفلسطينية منه مثخنة بالجراح.

انتقل المؤلف، بعد هذا العرض، الى استعراض موقف الكنيسة في فلسطين الذي اتصف بالصمت المطبق أول الأمر ازاء الممارسات الاسرائيلية الظالمة. غير ان الكنيسة خرجت عن صمتها في عقد الستينات عندما ناضل المطران يوسف ريا لاعادة سكان قريتي اقرت وكفربرعم الى اراضيهم. وارتفعت أصوات اكليركية أخرى تفضح الديمقراطية الاسرائيلية المزيفة مندّدة بالممارسات الاسرائيلية الجائرة، كما ارتفعت اصوات الشباب العربي المثقف منتقدة هذه الممارسات والمضايقات على كل صعيد، فقوبلت هذه المواقف بمزيد من القمع والمضايقات، الأمر الذي حمل بعض هذه النخبة الى الهجرة حيث وجدت مناخاً في الغرب يتيح لها ان تعمل لنصرة الحق الفلسطيني. واما بعضها الذي صمد فقد استمر في النضال مطالباً كنيسته ان تشاركه الموقف النضالي في مواجهة الاحتلال، وفي مناصرة المظلومين ضد ظالميهم اسوة بموقف المسيح.

وبالفعل، أخذت الكنيسة تلعب دوراً سياسياً مناهضاً للاحتلال ومناهضاً للممارسات الاسرائيلية على الرغم من المضايقات وعلى الرغم من الصعوبات من مواقف اكثرية الكنائس الغربية التي لا تزال متمسكة بتأويلات النبوءات، والتي لا تميّز بين اسرائيل التوراة، ودولة اسرائيل المعاصرة، والتي تربط بين مناصرة «يهوه» ليشوع، ومناصرته لاسرائيل المعاصرة في انتصاراتها على العرب، علماً بان اسرائيل المعاصرة نشأت بالبندقية ولم تنشأ بمشيئة سماوية. وفي بعض هذه الكنائس رموز اكليركية متصهينة وذات نفوذ واسع في المجتمعات الغربية من امثال هوارد جونسون، وبول فان بيرن، وجري فول وول. فهؤلاء وامثالهم رؤا في قيام اسرائيل مقدمة لمجيء المسيح، ولم يبالوا للمذابح التي تقترفها في الضفة الفلسطينية وقطاع غزة، لمطالبة سكانهما بالحقوق والعدالة. ولقد غاب عن بالهم عدالة الله، واعمت ابصارهم الاضاليل الصهيونية والتأويلات التوراتية المغلوطة. فيما وقفت قلة من رجال الدين في الغرب موقفاً مغايراً لهؤلاء، وشاركهم في ذلك بعض الجماعات اليهودية.

من المسلمات المحقة التي أوردها الكاتب، ان الفلسطينيين داخل وطنهم وخارجه يشعرون بظلم مرير لسلبهم أرضهم واجلاء اكثريتهم عنها، ولما يلاقونه من عسف الممارسات، وفي ذلك انتفاء للعدالة التي هي محور الدين، وفي غيابها انكار للدين. والممارسات الاسرائيلية المعاصرة مجافية للعدالة وهي بذلك مجافية للدين نفسه. ولقد أدت هذه الممارسات المتخذة من التوراة نموذجاً للعمل ومقياساً للسلوك، بالاضافة الى التأويلات اللاهوتية المسيحية في الغرب الى نفور المسيحيين الفلسطينيين من الكنيسة، ومن الكتاب المقدس، وزاد من نفورهم فتاوى بعض الحاخامين من أمثال موشيه سيغال واسرائيل هس، استناداً الى التوراة، بتشبيه الفلسطينيين، حالياً، بالعمالقة في التوراة الذين أجاز «يهوه» ابادتهم.

أوضح الكاتب، هنا، ان هذا المفهوم لا يمت الى الله بصلة، وهو مناقض للمفهوم المسيحي الحقيقي المبني على الرحمة والعدالة والتسامح. ان مفهوم الله في التوراة مفهوم قبلي بدائي صيغ كما أراده واضعوه، ويجرى تأويله وفق رغبات ومصالح القائمين بالتأويل، لا كما هو الله في الواقع الحقيقي؛ فالله مصدر العدالة، نصير المظلومين، مقتصّ من الظالمين، وهذا ما فعله بالملك آخاب وزوجته حيث كان مصيرهما الهلاك لقتلهما نابوت الفقير واستلابهما لارضه، كما جاء في التوراة، وحال تعسف آخاب مماثلة لحال تعسف اسرائيل اليوم، وحال نابوت مع الملك كحال الشعب الفلسطيني مع حكّام اسرائيل.

تطرّق المؤلف، بعد ذلك، الى النواحي اللاهوتية، مستنداً الى العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدس لدحض المقولات المتعلقة «بالشعب المختار» و«الوعد» الالهي «بأرض الميعاد» كافة، وخلص الى القول، بأن اسرائيل، اليوم، لا تتماشى في ممارستها مع روح الدين ولا مع الديمقراطية، وهي تنهج ـ بعد حرب العام ١٩٦٧ ـ الى التأويل التوراتي الكيفي الذي يخفي وراءه المطامع التوسعية العدوانية في عدم التنازل حتى عن الضفة والقطاع المحتلين، وهذا يعني ابقاء القضية الفلسطينية من دون حل، متجاهلة ان الوعد المقطوع لاسحق كان مقطوعاً لاسماعيل، وعرب فلسطين من نسل اسماعيل، بينما المستوطنون اليهود «الاشكنازيم» ليسوا من نسل اسحق اذا سلّمنا جدلاً بالتأويل التوراتي، علماً بأن الكنعانيين والفلسطينيين سكنوا فلسطين بأزمان قبل ان